دراسات إسلامية
مجلة علمية سنوية محكمة
العدد الخامس / ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م

حول نتائج نقد الغرب لدينه المعاصر
منزلة المسيح وبولص عند "الحداثيين" الغربيين
دراسة نقدية

د. التجاني محمد الأمين زايد أحمد

أستاذ مساعد بقسم الفلسفة جامعة الخرطوم، معار بجامعة قطر- قسم الدعوة والثقافة
Email:tmaza1@hotmail.com

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم - قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة الخرطوم

(٣١١-٣٣٢)

مقدمة :

أفرزت الحضارة الغربية الحديثة على يد من يسمون بـ" **المفكرين الأحرار** "[1] نقدا للدين بصفة عامة ونقدا للمسيحية بصفة خاصة ، تحت عنوان " **النقد التاريخي للكتب المقدسة** ". وهذا المصطلح - ويسمى كذلك بـ" **علم الدراسة النقدية للنصوص المقدسة** "- بدأ في الانتشار مع مطلع القرن السابع عشر الذي سماه كبار مؤرخي الحضارة الغربية بعصر العقل[2] **The Age of Reason** في مقابل ما اسموه بعصر الإيمان **The Age of Faith** ، كما عنونه ويل ديورانت **Will Durant** في قصة الحضارة.[3] وهذا العلم الجديد يعتبر أحد

---

(1) المفكرون الأحرار **Freethinkers** مصطلح معلوم لدارسي تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة بشقيها العقلي **rationalism** والتجريبي **empiricicim** والمقصود بهم على وجه الخصوص فلاسفة القرن السابع عشر ويعني المصطلح [**freethinker**] كل من لا يبني اعتقاده على الوحي أو كل مفكر ينزع القداسة عن الكتب المقدسة بحيث ينظر إليها باعتبارها مجرد نص أو رواية أدبية بشرية. واحياتا يطلق المصطلح مطابقا لما عرف بفلاسفة التنوير **Enlightenment** أو فلاسفة الحداثة **modernism** وجل فلاسفة الفلسفة الحديثة تنويريون وحداثيون. انظر ليسنج ، تربية الجنس البشري ص١٠ ، دار التنوير ٢٠٠٦ ترجمة حسن حنفي. وقد طبق كثير من هؤلاء " **الذين يسمون بالأحرار= freethinkers** " منهج " **تحرير أو سلب القداسة عن المقدس** " في مؤلفاتهم.انظر الهامش التالي. أيضا ستجد في هذا الموقع معلومات جيدة عن المفكرين الأحرار ومنهجيتهم في نقد الكتب المقدسة **http://www.uccs.edu/~freethnk/html/resources.html**

(2) أرخ له كثر ونجد منهم المفكر الثوري توماس باين [١٧٣٧-١٨٠٩] صاغه في أكبر عمل ملهم حمل ذات العنوان: " **عصر العقل** " حرر فيه " **الكتاب المقدس** " من قداسته واعتبره مجرد نص أدبي عادي. وحقق الكتاب أكبر مبيعات للكتب وألهم " **أحرار** " القرنين التاسع عشر والعشرين. انظر ملخص الكتاب على الرابط:

http://classiclit.about.com/od/age_of_reason/gr/The-Age-Of-Reason-Summary.htm

(3) المؤرخ الكبير والفيلسوف ويل ديورانت [١٨٨٥ - ١٩٨١] **Will James Durant** أرخ لهذا العصر بل صاغه عنوانا " **عصر الإيمان** " ، وهو أحد أهم مجلدات موسوعته الموسومة بـ" **قصة الحضارة** " ذات الاحد عشر مجلدا ويحمل المجلد " **عصر الإيمان** " الرقم ٤ بينما يحمل مجلد " **بدايات عصر العقل** " الرقم ٨. والمجلد قصة الحضارة **the story of civilization** يكاد يكون موجود في أي مكتبة مهمة. ديورانـت:.

ثمرات الفلسفة الحديثة ، وقد نشأ على يد اسبينوزا [١٦٣٢] وغيره من فلاسفة القرن السابع عشر. وقد اعتبر علم " **نقد الكتب المقدسة** " من أهم مكاسب الحضارة الغربية الحديثة.(٤)

أطلق هؤلاء المتحررون أقلامهم بلا حدود حيث فحصوا أديانهم من الألف إلى الياء " **رموزا ومصادر ونصوصا وعقائد وطقوسا** " فخرجوا بنتائج مذهلة لشعوبهم ، أنكر بعضهم إثرها شخصية المسيح نفسه.(٥) ثم أرادوا أن يعمموا النتائج التي توصلوا إليها لتبلغ جميع أديان العالم ففرخت الظاهرة في وقتنا الراهن تلاميذا مازالوا يبشرون بها في عالمنا الإسلامي وإن قلّ عددهم ، لكن هذا لن نبحثه هنا.

ملخص البحث

إن رموز المسيحية المعاصرة ثلاثة ، وهم: المسيح عليه السلام الذي تنسب إليه الديانة وبولص " **أو شاؤول** " صاحب المذهب المثير للجدل والذي دانت بمذهبه جميع طوائف المسيحية المعاصرة. والرمز الثالث هو الملك الرومي قسطنطين الذي فرض هذا المذهب على المعارضين له وذلك في الربع الأول من القرن الرابع.(٦)

في هذا البحث رأيت أن أتعرض بإيجاز لموقف بعض النقاد " **الأحرار** " من المسيح عليه السلام وبولص على وجه الخصوص ، وماهي النتائج التي توصل إليها نقدهم.

ولّما كنت لا أذهب في كل حين مذهب هؤلاء النقاد ، رأيت أن أدلي بدلوي –خصوصا في بولص الذي اعتُبِر شخصية أولى في تكوين المسيحية المعاصرة. وقد كان مصدري المحوري لتلك القراءة الكلام الذي نسب له واطلعت عليه في كتابات المسيحية المقدسة. وأنا أتتبع

---

(٤) انظر حسن حنفي في تقدمته لكتاب ليسنج " **تربية الجنس البشري** " ، دار التنوير للطباعة والنشر ٢٠٠٦ ، ص١٥ وانظر " **ويل ديورانت** " قصة الحضارة المجلد الثالث ، ت: د.محمد بدران تحت اشراف الادارة العامة للثقافة ، جامعة الدول العربيه ط٣ ١٩٧٣ ص ٥٩٢.

(٥) " **ويل ديورانت** " قصة الحضارة المجلد الثالث ، ت: د.محمد بدران تحت اشراف الادارة العامة للثقافة ، جامعة الدول العربيه ط٣ ١٩٧٣ ص٢٠٤.

(٦) سمي المجمع بـ" **مؤتمر نقية ، ٣٢٥م** " وقد عارضه أغلبية المؤتمرين من اصحاب المذاهب المخالفة وعلى رأسهم آريوس الذي كان يرى ببشرية عيسى عليه السلام فقتل فور الانتهاء من المجمع. انظر شلبي " **د.أحمد شلبي** " ، مقارنة الأديان ، المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٣ ، ص ١٦٨ وما بعدها.

مقالات شاؤول المعروف بـ" **بولص الرسول** " ، خرجت بنتائج مفادها أن بولص هو الذي " **تروم ولم يتنصر الملك قسطنطين** " كما عبّر قبل ألف عام العلاّمة القاضي عبد الجبّارِ الهمذاني في كتابه الموسوم بـ" **تثبيت دلائل النبوة** ".[٧]

اتبعت في هذا البحث القصير طريقة عرض المشكلة ، ثم اعرض أراء بعض من سموا بأحرار الفكر حولها ثم أعرض رأيي.

حول التسمية " مسيحية " وخلفيتها التاريخية

بدأ يدين الغرب ، ومنذ القرن الميلادي الأول ، بدين شرقي الهوية " **فلسطيني** " المولد عرف في الغرب باسم المسيحية **Christianity** وهي نسبة إلى اللفظة الإنجليزية **Christ**وتعني " المسيح " واللفظة " **مسيح** " في أصلها لم تكن عربية بل " **عبرية** " ، وبالإنجليزية **messiah** وتنطق في كليهما " **مسيا** "[٨] وبالعربية تنطق " **مسيح** ". " **المسيحي** " أو " **المسيحية** " هي ديانة نسبت إلى المسيح عليه السلام وذلك حسب نظام اللغة العربية. ويبدو كما يطلق بعض المستشرقين اسم محمديين على المسلمين ، أُطلِق على من يعلنون اتباعهم للمسيح اسم " **مسيحين** ". وهذه التسمية تبدو مستحدثة ، بيد أن في عرف النصارى الجدد فإنّها " **أي التسمية** " تحمل في ظلالها معنى الشرف والاصطفاء و" **المشاركة في مجد الله** " ، خلافا للناصريين[٩] والجليليين[١٠] اللذين كان يَنْعت الوثنيون بهما المسيحيين الأوائل من باب التحقير ، ربما لقلة شأن البلدتين. إذ يأتي النعتان في سياق هو ضرب من ضروب الحرب الإعلامية التي تلقتها الجماعة الأولى والمسيح عليه السلام بين ظهرانيها.[١١]

---

(٧) القاضي عبد الجبار الهمذاني ، : تثبيت دلائل النبوة ، دار المصطفى ، شبرا – القاهرة ، الطبعة بدون تاريخ ، ج١ ص ١٦٦ يقول رحمه الله بعد أن حكى كيف ولماذا وافق بولص دين الروم " **فاختلع بولص من ديانات المسيح ، وصار الى ديانات الروم . فاذا تبينت الامر وجدت النصارى ترومو ورجعوا الى ديانات الروم ولم تجد الروم تنصروا** " انظر ص١٦٦ وما بعدها وما قبلها

(٨) The Shorter Oxford Eng.Dic.Volume(1).P 308

(٩) نسبة لبلدة الناصرة مسقط رأس سيدي المسيح علية السلام.

(١٠) نسبة لبلدة الجليل الفلسطينية التي تربى فيها عليه السلام.

(١١) أحمد شلبي المسيحية ص٦٧-٧١ ط٢ ١٩٦٥.

ولعل من المدهش أن القرآن الكريم ، في معرض تعرضه لهذه الديانة ، لم يستخدم هذه النعوت السالفة بل سمّاهم " نصارى " ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة : ١١٣]. وفي لسان العرب وجدت في باب نصر على غير القياس.(١٢) مع أنه وصف عيسى عليه السلام بأنه " المسيح " ، بيد أنه لم يسم الذين اتبعوه بالمسيحيين ، تماما كما لم يثبت للبحّاثة الغربيين أن " المسيح أو يسوع " ، الذي يعتقدون بأنه محور دينهم ، قد أطلق تسمية " مسيحيين " على أتباعه ، ولذلك تجد المسلمين –في التاريخ- يسمون هذا الدين بالنصرانية.(١٣)

---

(١٢) ابن منظور: " جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري " لسان العرب ج١ الدار المصرية للتأليف بدون تاريخ. باب نصر " يُستعمل نَصْران إلا بياءي النسب لأنهم قالوا رجل نَصْراني وامرأة نَصْرانيَّة ، ....النصارى جمع نَصْران ونَصْرانَة إنما يريد بذلك الأَصل دون الاستعمال ، وإِنما المستعمل في الكلام نَصْرانيٌّ ونَصْرانِيّة ، بياءي النسب. ويجوز أَن يكون واحد النصارى نَصْرِيّاً مثل بعير مَهْرِيّ وإِبل مَهارَى. وقال الليث: زعموا أَنهم نُسِبُوا إِلى قرية بالشام اسمها نَصْرُونة. وقد جاء أَنْصار في جمع النَّصْران. ونَصْرانُ قرية بالشأْم ينسب إِليها النَّصارى ، ويقال: ناصِرَةُ...والتَّنَصُّرُ: الدخول في النَّصْرانية ، وفي المحكَم: الدخول في دين النصْري * قوله" في دين النصري " هكذا بالأصل. ونَصَّره: " جعله نَصْرانِيّاً ".

(١٣) النصرانية عند المسلمين نجدها تخالف المسيحية المعاصرة في جوهرها وملخص ذلك أن النصرانية هي تلك الديانة التي أنزلها الله إلى " الإنسان " عيسى بن مريم البتول عبد الله ورسوله المجتبى كغيره من الرسل ، مكملة لرسالة موسى عليه السلام ومتممة لما جاء في التوراة بما جاء في الإنجيل من شرائع ، وموجهة بصورة مخصوصة لبني اسرائيل ، وداعية في انجيلها الذي هو وحي من الله إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي والنفسي والأخلاقي ومبشرة بمحمد e. بيد أن هذا الدين سرعان ما فقد أصوله ، وذلك الإنجيل سرعان ما ارتفعت قيمة صدقه بارتفاع صاحبه. وسرعان ما امتدت إليه يد التحريف من كل جانب وادخل فيه ما ليس منه فانقلب هداه ضلالا. لذلك أنزل الله وحيا آخرا تكفل بحفظه فجبّ ما قبله من هدى غلبه الضلال. والشيء الذي نريد إثباته في هذه اللحظة هو أن اسم ومفهوم نصرانية ينبغي ألا يطابق اسم ومفهوم مسيحية. لذلك ستجدنا نستخدم " مسيحية " على طول صفحات هذا البحث خاصة ونحن نتحدث عن المسيحية المعاصرة كما يفهمها الغرب نفسه.

المؤسسون: " من هو المؤسس الفعلي للنصرانية الحديثة عند الباحثين الغربيين "؟

يعتقد الغربيون أن المسيحية في شكلها الراهن تدين في وجودها إلى ثلاثة أشخاص، إذا أخفى التاريخ دور أي منهم اختفت المسيحية بل واختلفت عن تكوينها المعاصر.

أول هؤلاء الثلاثة سموه بالعربي " **يسوع الناصري** " الذي يعتقدون أنه الرمز الذي تدور المسيحية حول شخصيته الفريدة وثاني الثلاثة هو شاول، أو بولص الرسول كما اشتهر بذلك، فهو في عرفهم المؤسس الحقيقي الذي وضع معالم مسيحية جديدة هي مسيحية اليوم وهو الشخص المعني بهذا البحث. وثالث الثلاثة هو الملك الوثني الروماني غسطنطين، الذي تبنى تلك المعالم البوليصية ـ لأسباب سياسية ـ بعد " **ترويمها** "[14] فنصرها على غيرها من المذاهب النصرانية المناهضة لبولص والأكثر حضورا في وجدان أتباع عيسى عليه السلام.

اذاً كيف رأى أحرار الغرب الذين ثاروا ضد دينهم هذا الثالوث الفريد الذي كون المثلث المسيحي المعاصر؟ وكيف نقيِّم رؤيتهم؟

رمز المسيحية الذي نسبت إليه، أو " يسوع الناصري ":

يعتقد الباحثون الغربيون المعاصرون أن " **يسوع** "[15] " **الناصري** "[16] لم يكن مؤسسا فعليا للمسيحية التي عرفتها أوربا الحاضرة وإنما ظل " **يسوع** " –دائما– هو الشعار والمحور، بل موضوع العبادة لهذا الدين، وهو النواة التي انبنت عليها المسيحية الغربية الراهنة، بيد أن الغالبية من هؤلاء الباحثين يرى أن ذلك البنيان لم يقم على الأسس التي وضعها يسوع، هذا إذا كان هنالك ثمّة أسس وضعها يسوع " **حسب ما يعتقدون** "! وإنما استطاع الرسول بولص أن يبني مسيحية تختلف تماما عن أصول مسيحية الناصرة وإن اتخذ من يسوع

---

(14) يقول في ذلك القاضي عبدالجبار الهمداني المعتزلي قبل ألف عام، أقوى عبارة لبحاحث مجد يزود عن الإسلام بالعلم والمعرفة " **ان الروم ما تنصرت ولا أجابت المسيح، بل النصارى ترومت وارتدت عن دين المسيح وعطلت أصوله وفروعه وصارت الى ديانة أعدائه** ". ترى ماذا ترك لنا عبد الجبّار رحمه الله حتى نتحدث عن من وكيف حرّف دين الله. من خلال هذه الغبارة سترى الفرق بين زعيم الاعتزال و" **الهيرمنوطقيين** " الجدد من العلمانيين العرب الذين يدّعون انتسابهم للمعتزلة وهم يدافعون عن شبهات الاستشراق التي تريد أن تساوي بين بشرية كتب دينهم والقرآن الكريم.

(15) النصارى العرب يطلقون اسم يسوع على عيسى عليه السلام.

(16) نسبة لبلدة الناصرة الفلسطينية.

الناصري شعارا. وقد ذهب نفر من الباحثين إلى أن المسيح نفسه الذي بشر به بولص يختلف تماما عن المسيح الذي عرفه الناصريون الأوائل.(١٧)

تلخيص قصة المسيح في كتبهم المقدسة:

يعتقد المسيحيون عامة أن الله بعد أن خلق آدم أوصاه بأن لا يأكل من شجرة بعينها، لكنه عصاه فأكل منها، فاستحق بهذا العصيان -هو وذريته من بعده!- العذاب الشديد عقابا لتلك الخطيئة الأولى. لكن لمّا كان الله عادلا ورحيما، سعى أن يخلِّص الإنسانية من هذا العذاب فرأى أن يرسل ابنه الأزلي الوحيد إلى الإنسانية ليفديها بعد أن تجسد تجسدا ظاهرا، ورضي الله الأب بموت هذا الابن على الصليب وهو غير مستحق لهذا الموت، حتى يكون ذلك الصلب فداء لخطيئة آدم الأولى.

وقد ولدت بالفعل مريم العذراء ذلك الابن بعد أن حملت به حملا ظاهرا وقد لاحظ يوسف النجار، خطيبها الذي لم يتزوجها بعد، هذا الحمل، ولكنه لم يتركها لأن الله أخبره بمراده عن طريق رؤيا منامية، ولمّا ولد الطفل يسوع ذهب يوسف " **الخطيب** " ومريم الأم فقيّدا اسمه في الإحصاء العام الذي أمر به الرومان. وفي ليلة ميلاده، التي كانت في بيت لحم وعلى مزود البقر، ظهرت المعجزات الدالة على أنه المسيح الموجود في كتب اليهود الدينية.

ولمّا علم حاكم المنطقة -من قبل الرومان- وتأكد بواسطة تلك الآيات على أنه المسيح وملك اليهود المنبأ به، عزم على قتله، ولكن في هذه الأثناء أوحى الله ليوسف في النوم أن يهرب بالطفل وأمه إلى مصر، ففعل، ولمّا لم يجد الحاكم الطفل أمر بقتل كل أطفال بيت لحم ممن لم تتجاوز أعمارهم سنتين. وبعد بضعة شهور من الإقامة في مصر عاد الطفل ومن معه إلى فلسطين مرة أخرى حيث أقاموا في الناصرة، فشبّ الوليد وكبر وأخذ يمارس مهنة أسرته وهي النجارة.

---

(١٧) هذا تلخيص وتحليل لما جاء في كلٍ من الإنسايكلوبيديا البريطانية تحت عنوان **CHRISTANTY P 459** وما بعدها وكذلك " **ويلز** " في معالم تاريخ الإنسانية في الصفحات ٥٤٦ -٥٦١ -٥٦٢ -٥٦٣ -٥٧٢ وكذلك " **ديورانت** " الجزء الثالث المجلد الثالث الصفحات ١٩٩ وما بعدها وكذلك، غوستاف لبون في حياة الحقائق الفصل الرابع بعنوان الأديان التركيبية الكبرى ص ٦١.
وانظر كذلك: **Maccoby, The Myth maker: Paul and the invention of Chrestiianity 1987: p.181**

والمصادر المشار إليها في الهامش بعد ذلك لا تحدثنا عنه وتهمله إهمالا تاما إلى أن يبلغ الثامنة والعشرين أو الثلاثين في بعض الروايات حيث يتم تعميده بواسطة يوحنا المعمدان في نهر الأردن مع غيره من المعمدين ، ثم يصوم بعد هذا التعميد أربعين يوما ، ثم في هذه الأثناء يُقتل يوحنا المعمدان بواسطة الحاكم الروماني ، وفي هذا الزمن بالتحديد يظهر له الشيطان ليغريه ويحرفه عن طريقه دون جدوى ، ثم ما لبث أن أخذ يبشّر ببشارة الإنجيل ، **وكانت بشارته خاصة باليهود في قراهم المجاورة للناصرة** ، وقد وجد قبولا ضئيلا فلازمه حواريون بلغوا اثني عشر استخدمهم كمساعدين في نشر تعاليمه. مكث ، بعد أن أعلن عن نفسه ، " **سنة واحدة أو ثلاث سنوات** ".[18] وفي زمن المكوث هذا أتى بمعجزات أثبتت ألوهيته عند أصحابه فيما بعد ، حسب ما هو مقرر في إنجيل يوحنا اللاهوتي مثل إشفائه للمرضى وإحيائه للموتى وتوج هذه الألوهية بقيامه من قبره بعد صلبه. ولما رأت المؤسسة الدينية خطره عليهم تآمروا عليه فقبضوه وأسلموه إلى الحاكم الروماني بيلاطس بعد أن لفقوا عليه تهمة الهرطقة وتحريض الناس على السلطان ، ثم أوصوا بقتله صلبا وضغطوا على الحاكم الروماني ، لمّا لم ير داعيا لقتله ، فنفّذ حكم الصلب ، ثم دفن فمكث في قبره ثلاثة أيام ، قام بعدها وظهر لتلاميذه ، ومن وقت لآخر ، في أماكن عدّة واستمر ذلك الظهور لمدة أربعين يوما ، أمر فيها تلاميذه أن يبشروا " **يكرزوا** " بعده بالإنجيل ، ثم ارتفع إلى السماء ، وإنه لا محالة عائد مرة أخرى ليحاسب الناس بنفسه يوم الدينونة. وقد حدد زمن هذه العودة بأزمان معينة ، ولكن ما لبث أن تراجع هذا شيئا فشيئا ، إلى أن صار القول مبهما " **إنه آت سريعا** " من غير ما تحديد.[19]

يسوع في نظر الباحثين الغربيين المعاصرين :

بعض الباحثين الغربيين ذهب بهم الشك من فرط ما وجدوه من تناقض الروايات التي حواها الكتاب المقدس ، حول تاريخية السيد المسيح ، أن أنكروا وجود الظاهرة من أصلها ، إذ اعتبروا شخصية المسيح وما أحيط بها من أضواء ، ما هي إلا ظاهرة أسطورية ، ابتكرها خيال العقلية الشرقية المفرط ، أما من حيث واقعيتها فلا أساس لها من الصحة ،

---

(18) سنة واحدة حسب انجيل متّى ومرقس ولوقا ، وثلاث سنوات على حسب إنجيل يوحنا

(19) انظر ديورانت في قصة الحضارة ، المجلد الثالث ص٢٩٤ ومابعدها.

وهكذا نجد باحثا معتدلا مثل **Well Durant** يؤرخ لهذه المشكلة -مشكلة تاريخية المسيح - في كتابه قصة الحضارة فيبدأ بالتســـاؤل " **هل المسيح وجد حقّا؟ أم أن قصة حياته أسطورة من الأساطير شبيه بخرافات كرشنا وأوزريس وإتيس وإدنيس وديونيشس ومتراس؟** "[٢٠]ويستطرد **Durant** أن " **بولنجبروك** " والملتفين حوله يقولون في مجالسهم الخاصة ، إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق وجهر فلني **Volney** بهذا الشك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره في عام ١٧٩١ . ويذكر " **ديورانت** " أنه لمّا التقى نابليون القائد الأوربي العسكري المعروف بالعالم الألماني بفيلاند **Weland** لم يسأله سؤالا في السياسة والحرب إنما سأله ما إذا كان يؤمن بتاريخية المسيح أم لا؟ في إشارة واضحة من " **ديورانت** " إلى أن ظاهرة وجود المسيح في عصر نابليون كانت مشكلة في حد ذاتها.

وفي عام ١٨٤٠ بدأ برنو بور **Brnno Bauer** في إصدار سلسلة من الكتب تسعى إلى إثبات أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير ، نشأت في القرن الثاني من مزيج مختلف من الأديان اليهودية والرومانية واليونانية. وفي عام ١٨٦٣ أخرج ايرنست رينان **St Renan Erne** كتابا سمّاه حياة يسوع ، جمع فيه نتائج النقد الألماني وعرض مشكلة الأناجيل على العالم المثقف ، وقد طرد رينان من منصبه في الجامعة بسبب هذا الكتاب ، كغيره من الكتّاب الذين تجرأوا على نقد الكتاب المقدس ففقدوا مناصبهم جرّاء هذا النقد.[٢١]

ثم بلغت المدرسة الفلسفية صاحبة البحوث الدينية ذروتها في أواخر القرن التاسع عشر ، على يد الأب لوزاي **Lois** ، الذي حلل نصوص العهد الجديد تحليلا بلغ من الصراحة حدّا اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكية إلى إصدار قرار بحرمانه هو وغيره من الباحثين.[٢٢]

---

(٢٠) ديورانت قصة الحضارة مجلد٣ جزء٣ ص٢٠٤.

(٢١) وقع مثل هذا الاضطهاد للأستاذ شتراوس**DAVID STRAUSS** حيث عزل من منصبه بسبب كتابه " **حياة يسوع** " الذي صدر في ١٨٣٥ وطرد بخنر **buchner** المادي في ١٨٥٥ من جامعة طوبنجن بسبب كتابه " **القوة والمادة** " وكذلك حدث ل لوازي **loisy** بسبب مساهمته المثمرة في دراسة الكتاب المقدس وغيرهم من احرار الفكر انظر قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص٢٤٨.

(٢٢) قصة الحضارة المجلد الثالث ص٢٠٤.

كما أن في هذه الأثناء وصلت حركة النقد في هولندا أوجها ، إلى أن بلغت مدى أنكرت فيه حقيقة المسيح التاريخية ، وكذلك حدث مثل ذلك في ألمانيا وإنجلترا.[٢٣]

أما هرمان **Harmann Reimanus** أستاذ اللغات الشرقية في جامعة هامبرغ والذي بدأ به ذلك الجدل الذي أثرناه حول تاريخية وجود المسيح ، حيث استمر هذا الجدل لمدة قرنين وانتهى إلى إفناء شخصية المسيح التاريخية إفناء تاما -كما يقول ديورانت- فإن هيرمان الذي بدأ هذا الجدل ، ألّف بحثا مطوّلا ، ذهب فيه إلى أن يسوع لا يمكن أن يعدّ مؤسس المسيحية ، ولا ينبغي أن يفهم مثل هذا الفهم ، بل يجب أن يفهم على أنه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة " **المتصوفة** " اليهود القائلين بالبعث والحساب.[٢٤] ويعني بهذا أن المسيح لم يفكر في إيجاد دين جديد ، بل كان يفكر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب.[٢٥] وهكذا تجد المؤرخين والباحثين الغربيين قد انقسموا طوائف حول الظاهرة " **اليسوعية** " ، وقد رفض القصة بعضهم ، منهم من ذكرنا ومنهم منْ لم نذكر. كما قبل القصة بعضهم بتحفظ. حيث لم ينكروا وجود الظاهرة ، بيد أنهم تشككوا أن تكون قد تطورت بتلك الكيفية المذكورة في الكتب المقدسة.[٢٦]

وبالطبع نحن لا نذهب مذهب الذين اشتطوا فأفنوا شخصية المسيح ، ولا أولئك الذين تجاهلوها تماما ، غير أننا نستفيد كثيرا من أولئك المتطرفين أو المتشككين حول ظاهرة السيد المسيح ، لنؤكد أن الغموض الذي اكتنف حياته عليه السلام ، والتناقضات التي حوتها سيرته بسبب كثرة الأقلام والتحريف لأسباب شتى ، هي التي ولّدت هذه الشكوك وذلك الاضطراب ، والسبب في كل ذلك يرجع لقلة أو انعدام مصادرهم الموثوقة ، مما جعل بعض الباحثين يعترف بصعوبة الكتابة عن شخصية " **يسوع** ". فهذا " **إميل لوديغ** " الذي أخرج

---

(٢٣) قصة الحضارة المجلد الثالث ص٢٠٤.

(٢٤) السابق ، ص٢٠٣.

(٢٥) لودفيــــغ: " اميل " إبن الانسان ، ت: عادل زعيتر ، القاهرة البابي الحلبي ١٩٤٧ ، ص٩
Emil Ludwig, The Son Of Man The Story Of Jesus [1928], Publisher: Garden City Publishing Co. Inc

(٢٦) لوبـــون: [د.غوستاف] حياة الحقائق ، ت: عادل زعيتر ، إحياء الكتب العربية ط١ ١٩٤٩ ، ص٦٢

كتابا بعنوان " **ابن الإنسان** " -حكى فيه قصة السيد المسيح- نراه يقف محتارا في سطور الكتاب الأولى ، فيقول :

من الصعب وصف رجل كيسوع لا نكاد نعلم شيئا عن حياته وأوصافه وسريرته قبل بلوغه الثلاثين من عمره ، وليس لدينا غير معارف متناقضة عن عاميّ سنه الأخيرين ، فالأناجيل الأربعة التي هي كل ما لدينا متباينة وتدحضها المصادر غير المسيحية ، ونحن إذا حذفنا الأقوال المتكررة لم يبق لدينا من ذلك كله سوى خمسين صفحة تحتاج إلى تمحيص جديد. أضف إلى ذلك ما تراه في تاريخ حوادث يسوع من خلط أثار أسف الباحثين في كل قرن.(٢٧)

ويقول فولتير عن هذه المصادر:- " **الأناجيل ليست متكاملة فيما بينها ، بل تتناقض وتتعارض ولاتجد فيها نفس الإنسان ولا نفس المعجزات ولا ذات الأقوال ولا ذات الأفعال** ".(٢٨)

ويقول الدكتور غوستاف لبون:

... وعلى ما تراه من معرفتنا بما فيه الكفاية لحياة كثير من مؤسسي الأديان ، كحياة محمد مثلا نرى حياة مؤسس المسيحية مجهولة تقريبا ، ولا تبحث عن حياته في الأناجيل كما بُحث من قبل ذلك زمنا طويلا ، وكما عَدَلَ العلم عن اعتقاد إمكانها في الوقت الحاضر ، فهذه الأناجيل وأقدمها إنجيل مرقس الذي كُتِب بعد وفاة يسوع بنصف قرن على الأقل ، هي مجموعة من الأوهام والذكريات غير المحققة التي بسطها خيال مؤلفيها أما رسائل القديس بولص فهي أقلّ الوثائق عدم صحة في تمثل أزمنة المسيحية الأولى ، وبولص طالما أنه لم يلتقِ بيسوع لن يستطيع أن يتكلم عنه إلا سيرا مع " **العنعنات** " والخيال.(٢٩)

وهكذا تصبح المشكلة في المقام الأول هي مشكلة المصادر التي تناولت شخصية المسيح ، فقد جاء في كتاب " **حول موثوقية الأناجيل والتوراة** " .. ومع أن هذه الأناجيل أربعة في العدد ، وكتبت بأقلام مختلفة ومن وجهات نظر متباينة ومع أنها ركّزت على حياة

---

(٢٧) لوبـون: [د.غوستاف] حياة الحقائق ، ص ٩.

(٢٨) نقلا عن تيارات الفكر المعاصر اندريه كارسون ص ١٤٧ .

(٢٩) حياة الحقائق ص٦٢.

المسيح بالدرجة الأولى ، فإنها لم تقدم لنا صورة وافية مفصّلة عن شخصية المسيح وعن سيرة حياته التي يقدّر أنها دامت ثلاثة وثلاثين عاما ، فلم تحدثنا عن هيأته ولا تفصيلات عن علاقته بأمه وأبيه بالتبني " **يوسف** " ولا عن علاقته بأقاربه ، ولا تخبرنا شيئا عن حياته الجنسية ، ولا تحدثنا بالتفصيل عن كيف قضى ثلاثين سنة من عمره قبل بدء دعوته ، ولا تعطينا صورة عن تصوراته الدينية قبل بعثته ولا تقدم لنا أيّ نص يتحدث عن حياة المسيح بين الثانية عشرة والثلاثين من عمره.[٢٩]

أما " **ويلز** " – الذي يبدو عليه الاعتدال – فقد وصف هذه المصادر بأنها " **سجلا مرقعا غير متوازن** " ، وهو لم يذهب مذهب الذين أنكروا ظاهرة المسيح ، إذ أثبت أن القصة صحيحة في جوهرها وتاريخيتها ولم تكن من نسج الخيال ولكنه ذهب إلى القول:- كما أن شخصية بوذا قد شوهتها وطمستها كثير من الأوهام فكذلك شخصية المسيح قد آذاها كثيرا ذلك الوهم.[٣٠]

أما الموسوعة البريطانية فقد أوردت:- " ... **رغم كون تاريخية شخصية المسيح حقيقة مؤكدة إلا أنه يصعب الحصول على ترتيب تاريخي منضبط لأحداث مسيرته بالكامل** ".[٣١]

وفي نهاية خاتمة حديثنا عن نواة المسيحية ومحورها لابد لنا من الإشارة إلى أن الصورة التي أبرزتها المصادر الدينية عن شخصيته هي الصورة التي رسمها لنا خيال القديس بولص المؤسس الفعلي للمسيحية المعاصرة ، حيث انتصر مذهبه وأصبح هو المسيحية الرسمية كما هي بالفعل الآن عند الغرب. ولابد لنا من أن نلقي الضوء على تلك الشخصية الخطيرة والتي استطاعت أن تفرض نفسها على التاريخ وتصبح أهم شخصية إنسانية على الإطلاق في عرف الغربيين الذين يعتبرون أن يسوع هو إله وأن بولص بشر ملهم ومؤسس حقيقي للمسيحية.[٣٢]

---

(٢٩) محمد السعدي ، حول موثوقية الأناجيل ، ص١٣.

(٣٠) ويلـــــز: [هـ. ج] معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ت: عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة أ.محمد مأمون نجا ود. عبد الحميد يونس ، مكتبة النهضة المصرية ، ص٥٤٨.

(٣١) volume 2 p. 948 -1983.

(٣٢) انظر مقال الاسقف و.ر.انج في موسوعةتاريخ العالم بعنوان انتصار المسيحية ، حيث وصفه بانه [من اعظم من عاشوا عاى ظهر الارض.ص١٦٩.

بولص المؤسس الفعلي كيف نكتشفه ؟ :

نبدأ بالقول أنه لم يشك – قط – أي باحث في شخصية بولص التاريخية ، كما أنه لم يشك أحد في أنه المؤسس الفعلي للمسيحية المعاصرة أو على الأقل الشخصية المهمة أو الأهم في تاريخ المسيحية ، كما أنه وصِف بأنه واضع العقيدة المسيحية.[٣٣] ولقد رأيت من العدل أن أترك الرجل يحدثنا عن نفسه فيدهشنا إذ يكشفها كشفا يكفينا شر تأول شخصيته.

يقول بولص في العهد الجديد:

أنا رجل يهودي ولدت في طرطوس من كليكلة ، لكن نشأت هنا في هذه المدينة ، وتعلمت عن " **قودمي غمالائيل** " شريعة آبائنا تعليما صحيحا ، وكنت غيورا على خدمة الله... واضطهدت مذهب يسوع حتى الموت ، فاعتقلت الرجال والنساء وألقيتهم في السجون ، وبهذا يشهد لي رئيس الكهنة وشيوخ الشعب كلهم ، فمنهم أخذت رسائل إلى إخوتنا اليهود في دمشق ، فذهبت إليها لاعتقال من كان فيها مؤمنا بهذا المذهب فأسوقه إلى أورشليم لمعاقبته. وبينما أنا أقترب من دمشق سطع فجأة حولي عند الظهر نور باهر من السماء ، فوقعت إلى الأرض وسمعت صوتا يقول لي: شاول ، شاول لماذا تضطهدني؟ فأجبت من أنت يا رب؟ قال: أنا يسوع الناصري الذي تضطهده. وكان الذين معي يرون النور ولا يسمعون صوت من يخاطبني.[٣٤]

هكذا نجد بولص يتحدث عن نفسه في خطاب طويل يجده الباحث في أعمال الرسل وفي مواضع كثيرة ومتفرقة من العهد الجديد ، وبتعابير متكررة ومتشابهة إلى درجة تبعث الملل في روح الباحث.

ولقد تتبعت ذلك العهد الجديد صفحة إثر أخرى ، فظفرت بهذه الحصيلة عن شخصية بولص ففضلت أن أذكرها في النقاط التالية:

أولا: هو الشخصية الوحيدة التي استطاعت أن تخرج الحواريين من صمتهم وحيرتهم الناتجتين عن كارثة صلب المسيح التي أشيعت وصدقها البعض. فهو أول من أجاب عن السؤال لماذا صلب المسيح؟ وهو الشخص الوحيد الذي وضع الإجابة في قالبها الفلسفي

---

[٣٣] هكذا وصفه ديورانت في قصة الحضارة.

[٣٤] انظر العهد الجديد اعمال الرسل

الميتافيزيقي " **انظر رسالته لأهل رومية** "[٣٥] ، وربما بلغت بنا الجرأة في طرح رأينا الذي يذهب مذهبا يرى من خلاله أن هذا التفسير الفلسفي الماورائي لظاهرة الصلب المزعومة ، هو أول رشوة قدمها بولص للجماعة الأولى التي أذهلها زعم الصلب. فكان هذا التفسير " **الكرت** " الأساسي الذي فتح قلوب جماعة الناصرة وعوامها " **للحكيم** " الفيلسوف بولص الذي استطاع أن يجيب عن السؤال الخطير: لماذا صلب المسيح؟ ومن ثمّ تبوأ مكانة سامية بين الذين كان يضطهدهم ، بل فرض نفسه حتى أصبح قائدا روحيا قويا لمذهب داخل النصرانية بناه بتأويله الفلسفي الديني الميتافيزيقي ، الذي خلق من المسيح إلها.

ثانيا: هو الشخص الأول الذي أخرج الديانة المسيحية من إطارها العنصري اليهودي الضيق ، إلى إطارها العالمي الواسع ، وهو يعتقد في ذلك أن يسوع كلّمه بعد صلبه مباشرة – بعد أن ظهر له عيانا – وطلب منه أن يبلّغ رسالته إلى غير اليهود ، فهو المبعوث الشخصي الذي يتحدث بلسان السيد المسيح لغير اليهود والمخصوص بهذا الجانب دون غيره![٣٦]

ثالثا: إن هذه الدعوة الجديدة لغير اليهود والتي تولّى كبرها ومسؤوليتها جلبت له عداوة مع بعض الحواريين " **الناصريين الأوائل** " ، الذين يبدو أنهم عارضوا هذه الدعوة وما تبعها من أفكار جديدة خصوصا تلك التي تسعى لإعفائهم من الشريعة الموسوية. والباحث يلمس هذه العداوة بيِّنة على لسان بولص نفسه ، فهو لا يتورع من أن يصفهم –أي الحواريين– بأنهم " **لا يسيرون سيرة مستقيمة** ".[٣٧] ثم يصف ، في جرأة بالغة ، رئيس الحواريين والشخصية الأولى لدى المسيح – بطرس– بالرياء وغيرها من التلميحات التي تقلل من مكانته الدينية وسط أتباعه. الشيء الذي طبع كتاباتهم بالطابع الخصامي.

إن هذه الدعوة الجديدة –دعوة غير اليهود– خلقت من بولص كذلك شخصية هي أقرب إلى شخصية رجل السياسة المراوغ منه إلى رجل الدين صاحب الثوابت والمبادئ ، إذ

---

(٣٥) الاصحاحات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥.

(٣٦) رسالته الى افسس حيث جاء تحت عنوان رسالة بولص لغير اليهود [انا بولص سجين المسيح يسوع في سبيلكم ايها الذين هم غير اليهود ، لابد انكم سمعتم بالنعمة التي وهبها الله ليمن اجلكم.كيف كشف سرتدبيره بوحي كما كتبت لكم باجاز من قبل ، وبامكانكم اذا قراتم ذلك ان تعرفوا كيف اعرف سر المسيح).

(٣٧) انظر رسالته لاهل غلاطيه ١١-١٤.

نجده في دعوته لغير اليهود –وفي سبيل أن يستجيبوا لهذه الدعوة– قد اتخذ أديانهم وفلسفاتهم الوثنية الميتافيزيقية مدخلا لدعوتهم للمسيحية الجديدة ، بل في أحيان كثيرة كان يخبرهم بأنه يعتقد مثل ما يعتقدون ، انظر إليه لتلتمس روح الرياء حين يقول:

أنا رجل حر عند الناس ولكن جعلت من نفسي عبدا لجميع الناس حتى أربح أكثرهم ، فصرت لليهود يهوديا حتى أربح اليهود ، وصرت لأهل الشريعة من أهل الشريعة وإن كنت لا أخضع للشريعة لأربح أهل الشريعة ، وصرت للذين بلا شريعة كالذي بلا شريعة ، لأربح الذين هم بلا شريعة... وصرت للناس كلهم كل شيء لأخلص بعضهم بكل وسيلة.[٣٨]

وانظر إليه كيف يستخدم آلهتهم وأديانهم الوثنية مدخلا للمسيحية الجديدة :

....فوقف بولص في وسط المجلس وقال: **" يا أهل أثينا أراكم أكثر الناس تدينا في كل وجه ، لأني وأنا أطوف في مدينتكم أنظر إلى معابدكم فوجدت مذبحا مكتوب عليه: إلى الإله المجهول ، فهذا الذي تعبدونه ولاتعرفونه هو الذي أبشركم به ".**[٣٩]

رابعا: كان بولص يعترف من خلال رسائله أن معه منافسون له يدعون إلى مسيح مخالف للمسيح الذي يبشر به هو ، وقد وَسَمَهم **" وصفهم "** بالرسل الكذّابين[٤٠] ، كما أنك تستشعر من نبرته الحارة إلى أتباعه أن هنالك من يستجيب[٤١] لاؤلئك الذين سمّاهم كذّابين ، بيد أنه مما يؤسف له أن الكنيسة التي احتكرت جميع المخطوطات الوثائقية ، لم تترك لنا وجهات نظر أولئك الكذابين ، المخالفين لبولص ، ولم تصف لنا ذلك المسيح الذي يبشرون به ، وإن كنا نجد بعض المنشقين المتأخرين بعد وفاة بولص مثل الآريوسيين ربما كانوا يعبرون عن بذرة لم تستطع الكنيسة البوليصية اقتلاعها ، حتى بعد القرن الرابع الميلادي ، فآريوس الهرطقي في نظر الكنيسة كان يرى في المسيح مجرد بشر رسول من الله ليس إلا.

خامسا: كان بولص يجد في أثناء تطوافه الدعوي من يطالبه بالدليل الحاسم على شرعيته كرسول مبشر ، وكان ذلك يسبب له إزعاجا فيقول: **" إن عدت إليكم فلا أشفق على**

---

[٣٨] رسالته لاهل كورنثوس.

[٣٩] اعمال الرسل الايات ٢٢ ، ٢٣.

[٤٠] رسالته لاهل غلاطيه الايات ٧.٩.

[٤١] المرجع السابق.

أحد ، مادمتم تطلبون برهانا على أن المسيح ينطق بلساني ".[42] وكان دائما يرد على هؤلاء بإصرار عنيد " إنه لم يتعلم المسيحية من أحد ". " البشارة التي بشرتكم بها غير صادرة عن البشر فأنا ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان بل عن وحي من يسوع المسيح ".[43] ويقول كذلك:

" ولكن الله بنعمته اختارني وأنا في بطن أمي ، فدعاني إلى خدمته ، وعندما شاء أن يعلن ابنه فيّ لأبشر به بين الأمم ، ما استشرت بشرا ولا صعدت إلى أورشليم لأرى الذين كانوا رسلا قبلي ، بل ذهبت على الفور إلى بلاد العرب ومنها عدت إلى دمشق ، وبعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم لأرى بطرس ، فأقمت عنده خمسة عشر يوما ، وما رأيت غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الرب ".

ويقول كذلك: " الذي جعل بطرس لليهود جعلني أنا لغير اليهود ".[44] وإن قلنا له إن الذي جعل بطرس هو المسيح في حياته ، يرد علينا بأنه هو كذلك نصّبه المسيح في حياته بعد صلبه لأن المسيح لم يمت بل هو معه دائما يلازمه أنّى حلّ!

إن بولص بما أوتي من ملكة بلاغية بارعة ، كان يخلق حول نفسه هالة عظيمة ، كما أنه يستخدم أسلوبا استعطافيا مفضوحا أحيانا كثيرة ، لأجل أن يتبوأ مكانة روحية كبيرة وسط المؤمنين بدعوته.

فأناشدكم أيها الاخوة أن تصيروا مثلي ، لأني صرت مثلكم. ما أسأتم إليّ ، بل تعرفون أني كنت مريضا حينما بشرتكم أول مرة ، وكانت حالتي الجسدية محنة لكم ، فما احتقرتموني ولا كرهتموني ، بل قبلتموني كأني ملاك الله بل المسيح يسوع. فأين ذلك الفرج ؟ أنا لا أشك أنه ، لو أمكن الأمر ، لكنتم تقتلعون أعينكم وتعطوني إياها...[46]

وأخيرا وليس آخرا فإن بولص هو أهم شخصية على الإطلاق في نشر المسيحية الجديدة حتى سمّاها بعض الباحثين بالمسيحية البوليصية[47] ، وأن المسيحية المعاصرة هي التي تعبر عن ذلك الخط البوليصي وهو أول شخصية وضعت حجر أساس أول كنيسة في أوربا ،

---

(42) الرسالة الثانية لاهل كورنثوس ١٢ ، ١٣.

(43) غلاطية ١٠-٢٠.

(44) السابق ٧ -٨.

(46) السابق ١٢-٢٠.

(47) انظر على سبيل المثال غوستاف لبون في حياة الحقائق - وويلز في معالم تاريخ الإنسانية

كما أنه هو الذي وضع بذرة اللاهوت المسيحي"[٤٨]، وأن عقيدة التثليث لا محالة تجد جذورها في الفكر البوليصي الجديد الذي عبّر عنه يوحنّا في إنجيله خير تعبير.

وأخيرا -وهذا هو الأهم- فإن بولص تحاشى تماما أي صدام مع السلطة السياسية أيا كان نوع هذا الصدام بل تجده يبرر وجود السلطة الزمنية الوثنية التي أذاقتهم عذابا لا يطاق، حتى توجته، هو نفسه، مصلوبا بين مريديه، فهو يصر دائما على أن السلطة قدر من أقدار الله، ويدعو أتباعه للانقياد التام لهذا القدر، بل إن هذا الاستسلام للسلطة الزمنية الوثنية آن ذاك هو جزء أصيل من عقيدة المسيح. فالناظر إلى رسالة بولص إلى أهل رومية يجد الفصل التام بين ما هو روحي مناط بالمسيحي أن يقوم به في المجتمع وبين ما هو زمني تتكفل الدولة بإقامته، بل لا يجد الباحث صعوبة البتة في أن يحسّ الاستسلام الكامل وغير المشروط للمسيحي أمام سلطان الإمبراطور الوثني الزمني طالما أن هذا الأخير لا يطلب من المسيحي أن يتخذه موضوعا للعبادة.

وهكذا نستطيع أن نتلمس جذور العلمانية – في مفهومها البدائي الساعي إلى الفصل التام بين ما هو روحي وما هو زمني – أكثر قوة داخل التفسير البوليصي للديانة المسيحية. ولهذا يصدق عندنا قول بعض الباحثين: إن العلمانية لا تجد جذورها في أفكار السيد المسيح عليه السلام متى ثبتت لنا موثوقيتها، وإنما تجد جذورها في التفسيرات اللاحقة لهذه الأفكار."[٤٩] ونحن هنا نزعم أن بولص واضع تلك الجذور وهذا ما سنوضحه أكثر في السطور القادمة.

وبعد: فهذا هو بولص كما قرأناه بعد أن وجدناه متواريا داخل صفحات **" عهدهم الجديد "** أما بولص في عيون الباحثين الغربيين الأحرار فهو غير ذلك، إنما هو وثني استطاع أن يغرق تابعيه في بحر من الوثنية اللاعقلانية باسم يسوع ابن الله، فانظر ماذا يقولون عنه.

---

(٤٨) ولز معالم تاريخ الإنسانية ص٥٦٤.

(٤٩) ذهب الى ذلك بروفسر العطاس في **Islam and Secularism p.20** . كما ذهب بروفسر التجاني عبد القادر في كتابة: أصول الفكر السياسي في القرآن المكي

بولص في نظر الباحثين الغربيين:

يقول Gerald L. Berry في كتابه Religion of the World:

لم ينفر بولص من الطقوس الوثنية بل على العكس اقتبس كثيرا من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته بين الوثنيين دون أن ينفروا منها وليحمي ديانته من الذوبان في الديانة اليهودية ، ومن الصور التي حقق بها هذا الغرض أن جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد متبعا بذلك تقاليد متراس وأهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود ، واقتبس من الوثنيات أعياد رأس السنة وعيد القيامة وعيد التعميد.

أما " **ويلز** " الذي ينعته بـ" **المعلم العظيم الذي توجه ثقاة العصر مؤسسا حقيقيا للمسيحية** "[٥٠] ، يصفه كذلك بأنه " **كان متبحرا في لاهوتيات الإسكندرية وكان يجيد لغتها الإغريقية** " ، ثم ينقل ويلز قول البروفسور " **جلبرت** "الذي يقول عن بولص إنه " **كان يظهر تأثرا بالنقاش الفلسفي للمدارس المهلنة وبمبدأ الرواقية Stoicism** " ، ويؤكد ويلز أن بولص " **كان صاحب نظرية دينية قبل أن يسمع بيسوع الناصري!** ".

أما " **إتين جيلسون** " الباحث والمتخصص في فلسفة العصور الوسطى فينفي عنه كل عبقرية فلسفية ويثبت له أنه المؤسس الفعلي للفكر المسيحي وأن الذين جاءوا من بعده لم يفعلوا شيئا أكثر من استخراج النتائج المترتبة على تلك القواعد التي أسسها.[٥١]

وعلى الرغم من أنه ليس هنالك خلاف بين الباحثين الأحرار على أن بولص أدخل في المسيحية من الوثنيات ما ليس منها ، إلا أننا نجد " **ويلز** " و" **ديورانت** "-وهما مؤرخان عظيمان- رغما عن إثباتهما للنتيجة السالفة إلا أن كلاهما اعتذر عن أنه لم يهتد بالتحديد إلى أفكار وفلسفة بولص الدينية السابقة ، قبل أن يعلن دعوته الجديدة ، " **مبشرا بمسيح على الطريقة التي ارتآها** ". ومن المؤكد أن بولص لم يكن مشهورا في المجتمع اليهودي الديني باعتباره قائدا روحيا وإنما كان جنديا وذراعا قمعية بمحكمة اليهود العليا.[٥٢]وهذا ما أكده هو بنفسه.

---

[٥٠] ويلز معالم تاريخ الانسانية ، ص٥٦٠.

[٥١] روح الفلسفة المسيحية جيلسون ص٤٨.

[٥٢] الطهطاوي: [محمد عزت] الاسلام والنصرانية طبعة دار الانصار -القاهرة ، ص١٥٩

أما لماذا أدخل بولص هذه الأفكار الوثنية -التي سنوضحها أكثر عند حديثنا عن مشكلة المصادر- فأغلب الظن أن التيار الوثني لم يستجب لدعوة تصادم جوهر عقيدته الفلسفية الوثنية. وهذا الزعم الذي سقناه استوحيناه من عبر التاريخ الديني ، فالمتتبع لحركة الأديان في مجملها ، يجد هنالك إعراضا شبه كامل من قبل الشعوب ، للرسل والأنبياء وأصحاب دعوات الإصلاح ، وخاصة تلك الدعوات التي تسعى لإحداث انقلاب اجتماعي كامل في المفاهيم والتصورات ، ففي الغالب مثل هذه الدعوات تواجه بمعارضة عنيفة بما تحمل من مفاهيم جديدة ، ولكن الرسل والأنبياء يصمدون عادة أمام هذه الحركات المضادة ، ولا يبدلون دينهم ولا يتنازلون ولا يساومون إلى أن ينتصروا أو يلقوا حتفهم. أما في حالة بولص فإنّ الأمر قد اختلف. فلو افترضنا حسن نية بولص وافترضنا أنه كان يفهم ويدرك تعاليم المسيح عليه السلام فالذي يتبدى لنا ، من خلال تتبعنا لسيرة حياته أنه لم يصبر تجاه هذه الدعوة بل تعجّل في قطف ثمارها وإن أتت على حساب دعوة المسيح الأصلية ، فانحرف نحو أهواء العامة وأفكارهم حتى يتقرب إليهم فيكون مقبولا لديهم.

أما الرأي الذي ذهب إلى أن بولص أراد تشويهها -مع سبق الإصرار والترصد- وتقويضها من الداخل لأنه عجز عن القضاء عليها بآلته القمعية ، خاصة وأنه يهودي فريسي متشدد وله علاقة بمحكمتها العليا كما أشار إلى ذلك المستشار " **محمد عزت طهطاوي** " فيقول:

" يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولص للمسيحية هي التي دفعته للتظاهر بالدخول فيها ، ليستمر في حربها بسلاح جديد ، سلاح التهديم من الداخل ، لإفساد معالمها ومسخها ، فدخلها في الظاهر ليأخذ من ذلك سلاحا يطعنها به ، فلقد أحدث بولص في المسيحية أحداثا خطيرة ، بحيث يمكن القول إنه طمس الديانة المسيحية الحقيقية وخلّف دينا جديدا ".(٥٣)

وعلى الرغم من أنني لا أملك دليلا ماديا لدحض هذا الرأي ، إلا أنني غير ميّال له لمّا عشت مع بولص في العهد الجديد وأحسست مدى انفعاله بما يدعو ، وتكبده لمشاق ساقته في نهاية المطاف إلى حبل " **المقصلة** " وهذا ما يدعوني لاستبعاد نيته المبيتة لتشويهها ، وعليه فقد رأيت أن هذه الأفكار التي جاء بها بولص لا تخرج عن احتمالين:

(٥٣) الطهطاوي: [محمد عزت] الاسلام والنصرانية طبعة دار الانصار -القاهرة ، ص١٥٩.

إما أن تكون هذه الأفكار ليست لها علاقة البتة بمسيحية الناصرة -وهو يعلم ذلك- وإنما هي في أصلها مذهب فلسفي أو ديني عزيز عليه فأراد أن ينشره دينا للإنسانية ، فاستغل المسيح بما توفر له من خوارق غير طبيعية ، فاتخذه مجرد واجهة ، فهو لا يريد المسيحية في ذاتها وإنما كوعاء يحمل فيه ما أراد حمله ، وهذا احتمال وارد وإن كنت أرى ضعفه مع أن بعض المؤرخين الغربيين يؤكدون أن لبولص مذهبا قبل تمسحه.

أما الاحتمال الذي تميل إليه النفس ، فهو أن هذه الأفكار الجديدة هي بالفعل استنبطها بولص من أصول المسيحية الأم ، وظن أنها منها مع أنها غير ذلك ، وسبب هذا الاستنباط الخاطئ ، هو الميل نحو أهواء العامة بسبب ضغط المناخ الوثني العارم وبسبب التقرب لأديان السلطة الزمنية السياسية الرومانية.

ورغما عن كل تلك التحليلات فإن الظاهرة البوليصية في علاقتها مع الديانة المسيحية ، تعد من أغرب الظواهر في تاريخ الأديان وهذا مما يجعل الباب مفتوحا أمام التأويلات لتفسير هذه الظاهرة. فمدى صدق زعم بولص في التقائه بالسيد المسيح بعد رفعه؟ فهل هذه الواقعة تخيلات تخيلها فظنها كذلك؟ أم أنها أفكار كانت منضوية في سريرته فسترها بستار الوحي ، أم ماذا؟ بمعنى كيف نثبت أن بولص كان كذّابا وهل تتجاوز مصلحته أبعد من رغبته في أن يكون صاحب سلطة روحية.

مهما يكن سنترك علامات الاستفهام كما تركت من قبل ، وسنقلق هذا المبحث بقول بولص نفسه: " **فبقدر ما وهبني الله من النعمة كبانٍ ماهر وضعت الأساس** " بعد تعديل طفيف في عبارته هذه فنقول " **فبقدر ما وهبه المناخ الوثني من خيال واسع وضع الأساس** ".

وهكذا ابتعد الغربيون الأحرار عن بولص بعد أن فضحوا أمره بدراساتهم النقدية لسيرته الذاتية ، وبدأوا يطلبون الهداية في دين جديد غير المسيحية البوليصية ثم تشككوا في شخصية المسيح وصورته التي لم يجدوا لها مصادر تستبين من خلالها ملامح شخصيته غير هذه المصادر البوليصية التي اتهم مؤسسها سلفا بتحريف تلك الديانة.

المراجع باللغة العربية :

(١) ابن منـظور : [جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري] لسان العرب ج١ الدار المصرية للتأليف بدون تاريخ.

(٢) أبو زهرة: [د.محمد] محاضرات في النصرانية ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٦

(٣) أبو الفيـض: [السيد محمود المنوفي] تطور الديانات ، القاهرة دار النهضة بدون تاريخ

(٤) جيلسون:[إتين] روح الفلسفة المسيحية ، عرض وتعليق د.إمام عبد الفتاح ، دار الثقافة القاهرة ط٢ ١٩٨٢

(٥) ديورانت: [ويل ديورانت] قصة الحضارة [سلسلة] ت: د.محمد بدران تحت إشراف الإدارة العامة للثقافة ، جامعة الدول العربيه ط٣ ١٩٧٣.

(٦) السعدي: [محمد] حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ، ليبيا ط١ ١٩٨٦.

(٧) شلبي: [د.أحمد] مقارنة تاريخ الأديان ، المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية ط٨ ١٩٨٨.

(٨) الطهطاوي: [محمد عزت] الإسلام والنصرانية طبعة دار الأنصار - القاهرة

(٩) العلمي: [عبد الله] سلاسل المناظرة الإسلامية ــ النصرانية ، حققه عبد الحليم العلمي ط١ ١٩٧٠.

(١٠) العهد الجديد: طبعة عربية جديدة ، منشورات جمعيات الكتاب المقدس المتحدة بيروت ، طبعة ثالثة ١٩٧٨.

(١١) لوبون: [د.غوستاف] حياة الحقائق ، ت: عادل زعيتر ، إحياء الكتب العربية ط١ ١٩٤٩.

(١٢) لودفيغ: [إميل] ابن الانسان ، ت: عادل زعيتر ، القاهرة البابي الحلبي ١٩٤٧

(١٣) ليسنج: تربية الجنس البشري ، ت: وتعليق د. حسن حنفي ، دار التنوير ط١ ١٩٨٦.

(١٤) الهندي: [الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن] إظهار الحق ، المطبعة العلمية بمصر ١٣١٠هـ.

(١٥) ويلز: [هـ. ج] معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثالث ت: عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة أ.محمد مأمون نجا ود. عبد الحميد يونس ، مكتبة النهضة المصرية.

مراجع باللغة الإنجليزية

(1) Al-Attas, Syed Muhammad Naquib Islam and Secularism (ISTAC) Kulalumpur 1993.

(2) Bevan Edwin, Christianity, Oxford University Press 1949.

(3) Canning, John, 100 Great Events That Changed the World, London, Adhams 1966.

(4) Critiques of God, A major Statement of The Casc Against Belief in God, By Well Known Authors in Philosophy , Edited by Peter Angeles , Published 1976 By Prometheus Books New York.
(5) Descartes Renan, On First Philosophical Meditations.
(6) Encyclopadia Britannica, Adictionary of Arts, Science Litrature and Genoeral Information V24 New York 1911.
(7) Encyclopadia Britannica. V20 - 1768.
(8) Farmer [H.H] Towards Belief in God, London, 1942.
(9) Farrar, the Life of Christ, Petter and Galpin [N. P]
(10) Murry J. Middleton, the Life of Jesus, London Jonathan Cape, 30 Bedford Square.
(11) S Pinoza Bendict De, 1- Ethics Edited By James Gutmann, NewYork 1960. 2. Atheolagico-Poltical Treatise and Apolitical Treatise, Translated, From The Latin By, R.H.Elwes, New York 1951.
(12) The New Encyclopadia Britannica, Axicropadia Volume 1x. 1768.